جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل

تمهيد

كثيرةٌ هي الكتبُ المسيحية في المكتبات: كتبٌ تتناول العقائد المسيحية، طبعاً كما تراها الكنيسةُ التي ينتمي إليها الكاتب، وكُتُبُ تفسير لأسفار الكتاب المقدس، وطبعاً التي تنقل وجهة نظر المؤلِّف، وقس على ذلك الكثير. ولكن قليلةٌ هي الكتب الموضوعية التي تنظر إلى المسيح بالمنظار الذي يقدِّمه هو لنا وليس بالمناظير التي يقدّمها لنا هذا وذاك، أولئك وهؤلاء.

ومن هنا ارتأيتُ أن أضع هذا الكتاب في محاولة لتحديد ملامح الرب يسوع المسيح، ليس فقط كما تتبدى لنا في الأناجيل، بل كما تتبيّن لنا بصفاء في "الإنجيل"، بالمعنى الحقيقي للكلمة، والذي هو البشرى الحسنة والنبأ السار. وهذا الإنجيل أو الصورة نجدها بين الأسطر في العهد القديم كصورة ظلّية ووراء التفاصيل في العهد الجديد كتدوين يقدِّمُ المسيحَ خلال فترة حياته القصيرة على الأرض.

آثرتُ أن أقدِّمَ هذا الكتاب بشكلٍ نتعرّف به على ملامح صورة المسيح بشكل متسلسل، واستناداً إلى النصوص الكتابية، مع إضافة بعض التعليقات التفسيرية التي تعتمد على منهجية النقد النصي وشيء من الرجوع إلى الأصل اليوناني الذي كُتِبَ به جُلُّ النَّصِّ الكِتابي.

آمل أن يكون كتابي هذا مفيداً، وكما أدّعي، مختلفاً، وأن يحقق الغاية المرجوة منه، بنعمة الله "الذي بِهِ نَحْيا ونَتَحَرَّكُ ونُوْجَدُ"، آمين.

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل

مقدمة

إذا رجعنا إلى التاريخ، وإلى طرائق الناس عموماً، نرى أن كلَّ شخصية هامة، بل وحتى سيرة حياة كل إنسان عموماً، إذا ما أردنا أن نتحدَّثْ عنها، فإننا نقول أن هذا الشخص قد وُلِدَ عام (كذا) وتوفى عام (كذا). ودرجت هذه العادةُ حتى صرنا نرى هذه البيانات محفورةً على الألواح وشواهد القبور. ولكن هل ينطبق هذا على يسوع المسيح؟

هل تبدأ قصةُ يسوع بولادته من العذراء مريم عام (٠= صفر) ميلادية (أو ٥ ق.م بحسب التصحيحات التأريخية)؟ وهل تنتهي بموته على الصليب عام ٣٣ ميلادية؟ كثيرون يعتقدون ذلك، وهم يجهلون أنهم بذلك إنما يعتبرونه مثل أي إنسانٍ تاريخي ظهر على الأرض. ليس الحال هكذا مع يسوع. فقصة حياته لم تبدأْ بولادته في بيت لحم قبل حوالي ٢٠٠٩ سنوات، ولم تَنْتَهِ بموته على الصليب في الجلجثة قرب أورشليم، كما يعتقد كثيرون. ذلك لأن المسيح ليس إنساناً فقط، وليس مثل باقي الناس. فيسوع هو ابنُ الله السرمدي، الأزلي الأبدي، إذ أنه كان منذ الأزل وسيبقى إلى الأبد. وهذه الفترة التي تتحدث عنها الأناجيل (وبعض كتب التاريخ) إنما تغطي فترة ظهوره بالجسد على الأرض ابن الله الذي "أخلى ذاته" و"نزل من السماء" وتجسد من العذراء مريم لكي يصير "الكلمة" فينقل لنا فكرَ الله وروحَه وشخصَه، ولكي يقدّمَ ذاتَه على الصليب ذبيحةً كفّاريةً بدليةً عنا، لكيما ننال، إذا آمنّا به، مغفرةَ الخطايا والخلاصَ والحياةَ الأبدية: "لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا ٣: ١٦).

الحقيقة هي أن يسوع هو ابن الله السرمدي، الأزلي الأبدي: "هُوَ الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ" (رؤيا ١: ٨). فهو كان موجوداً قبل زمن بعيد ولا متناهٍ من ولادته بالجسد، فقد كان منذ الأزل، وقبل أن يتكون العالمُ: "أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ! وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ"، وسيبقى حياً إلى الأبد: "هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ" (متى ٢٨: ١٧)، "أَنَا هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتاً وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ" (رؤيا ١: ٧).

إن المسيح هو نفسُه ثابتٌ على الدوام لا يتغيّر ولا يتحوّل: "يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ" (عبرانيين ١٣: ٨). وما علينا، إذاً، سوى أن نمعن النظر إليه، فنعرفه، ونأتي إليه،

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل

يسوع الكلمة الأزلي

بما أن يسوع المسيح هو ابن الله، فهو من نفس طبيعة وجوهر الله، وله نفس الألوهية والمجد والبهاء، وبالتالي فهو مع الآب ومتحد به منذ البدء. وأول صفة من صفات الألوهية عند المسيح هي الأزلية أي أنه كائنٌ منذ قبل تكوين الكون ومنذ قبل تجسّده:

"فِي الْبَدْءِ[1] كَانَ الْكَلِمَةُ[2] وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ[3] وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ[4]. هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ. وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ" (يوحنا ١: ١ ٥).

[1] "في البدء": (εν αρξη): أي "منذ الأزل" و"قبل خلق أي شيء"، وليس "في بداية الخلق" أو "لّما بدأ الله يخلق"، كما ترد في (تكوين ١: ١)، وليس "في نقطة معينة محددة من الزمن في الماضي". وهذا يدل على أن يسوع، الله الابن، كان، منذ الأزل، مع الله الآب والله الروح القدس في وحدة من ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر والمجد والقدرات. ويدل هذا أيضاً على أن يسوع المسيح لم يُخلَقْ، بل كان منذ البدء شخصاً مستقلاً متمايزاً، فهو لم تكن له بداية لأنه هو البداية. وبما أنه كان موجوداً مع الله الخالق منذ البداية فهو شريكٌ له في الخلق.

[2] "الكلمة": (Λογος): (أو اللوغوس): مُفْرَدَةٌ كانت تعني "العقل أو الفكر" عند اليونانيين في العصر الهلستيني، ويستخدم يوحنا الإنجيلي هذا التعبير ليقول أن المسيح هو عقل وفكر وروح الله أيضاً، ويقول عنه "الكلمة" لأن يسوع المسيح سيكون كلمةَ الله الحية للإنسان، فيكون التعبير عن ماهية الله، وينقل لنا فكرَ الله، ويكشف مشيئتَه لنا. فكما علاقة الكلمة بالفكر هكذا أيضاً علاقة المسيح بالله. وهذه كانت إحدى غايات التجسد.

[3] "عند الله": (προς τον θεον): تأتي كلمة "الله" هنا في النص اليوناني للإنجيل مع (ال التعريف). وكلمة "الله" (أي "الـ إله") بهذا الشكل تشيرُ أو تدلُّ، عادةً، على "الله الآب". من هذا التعبير نفهم العلاقة التي بين المسيح (الله الابن) والله الآب، فالتعبير اليوناني يدل على أن يسوع كان "مع" الآب ومتجهاً "نحوه". وهذا يعني المساواة والشراكة وتطابق الجوهر بينهما، مع وجود شخصية أقنومية متميزة في

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل

"وَكان الكلِمَة اللهَ": (και θεοσ ο λογοσ): في اليونانية تأتي بشكل معاكس أي: "والله كان الكلمة". ونلاحظ فيها عدم استخدام (ال التعريف) مع "الله" في الأصل اليوناني وبالتالي، فالترجمة الحرفية هي "وإلهاً كان الكلمة" وهذا يعني أن المسيح، الكلمة، له نفس الألوهية، مثله في ذلك مثل الآب. نلاحظ، إذاً، أن ترتيب الكلمات في الجملة قد بدّله يوحنا الإنجيلي عن عمد، فقدّمَ الخبر على المبتدأ بدافع تأكيده على ألوهية الابن الكلمة. وبسبب هذا التشديد، وبحسب قواعد اللغة اليونانية، توجّب عليه حذف أداة التعريف من كلمة "الله". ولكن المعنى الحقيقي يمكن فهمه إذا أعدنا الصيغة إلى حالتها الأصلية، أي أن نضع المبتدأ في البداية ثم الخبر وقد أعدنا إليه اداة التعريف، فتكون العبارة: "وكان الكلمة الله". من جهة أخرى، اعتاد اليونانيون إلى الإيجاز في اللغة وتجنب التكرار، ومن هنا كان يأتي حذف أداة التعريف كما في هذه الآية: ("في البدء" هي حرفياً "في بدء"، و"الله كان الكلمة" هي حرفياً: "إلهاً كان الكلمة").

إذاً يسوعُ ليسَ مثل أي إنسان. لم يبدأْ تاريخُ حياته بالولادة الجسدية على الأرض في مكانٍ معينٍ وعامٍ محددٍ. هو ابن الله، أو هو الله الابن، أحد الأقانيم الثلاثة، هو اللوغوس الذي كان منذ الأزل ولا يزال موجوداً وسيبقى إلى الأبد، لأن ألوهيته ووجوده لا حدّ لها وليس لها انتهاء.

هذا الشخصُ لم يكن إنساناً فقط، رغم أنه اتَّخَذَ بشريتَنا، بل هو الخالق وهو الحياة وهو النور، وبالتالي فمنه تستمدُّ كلُّ الكائنات والمخلوقات والخليقة وجودَها وجوهرها واستمرارها.

لقد أرادَ الله على الدوام أن يعرِفَه الناسُ وأن يؤمنوا به ويكونوا له شعباً مقدساً. ولكي يُعَرِّفَهم على نفسه، تواصل معهم في البدايات عن طريق الملائكة والأنبياء ورجال الله الأتقياء. ولكن حان الآن ملءُ الزمان، الوقت المناسب المعيّن مسبقاً من قِبَل الله، فأراد الله الآن لهذا الإعلان عن نفسه أن يكون كاملاً، فجاء يسوعُ متجسِّداً لينقلَ لنا كلمةَ الله وصورَتَه، ومن هنا فقد كان يسوعُ "الكلمة" (اللوغوس). وبالتالي كلُّ ما قالَه وكلّ ما فعلَه، إنما كان يُعَرِّفُنا به على الله الثالوث القدوس. "اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيماً، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثاً لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضاً عَمِلَ الْعَالَمِينَ" (عبرانيين ١: ١، ٢).

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل

عظيمٌ أنت يا الله، وعظيمةٌ محبتُك. فقد خلَقْتَنا في كرامةٍ ومجدٍ على صورتك، ودعوتَنا لنكونَ على مثالك. ورغم سقوطنا وابتعادنا عنك، فإنك لم تتركْنا ولم تُهملْنا ولم تيأسْ منّا، بل ما برحْتَ تحاولُ على الدوام أن تسامِحَنا وتقيمَنا وتؤازِرَنا لنكونَ معكَ ولك، رغم عدمِ استحقاقنا. أعطِنا يا رب أن ندركَ محبَّتَكَ وأن نُحبَّكَ ونقدّمَ لك كلَّ ذواتنا، ونكرّسَ لك فكرَنا وأذهاننا وأجسادَنا وأعمالَنا، فنتقدَّسَ بك وفيك، وننعم بالفرح الحقيقي والحياة.

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل